

## إيقاف العروض يكشف خلا خطيرا في المسرح التونسي

مسرحيون تونسيون: الممثل يعاني وعلى الكبار أن يكفوا عن عرقلة الأجيال الجديدة

عرف المسرح التونسي تطوراً كبيراً مع رواد فرقة "المسرح الجديد" في سبعينات القرن الماضي، لكنه اليوم يعاني من تراجع له أسباب عديدة، لعل أهمها ضعف التواصل بين الجيل السابق والجيل الذي يليه، ومشاكل أخرى كثيرة على مستوى التنظيم والقوانين والدعم وغيرها من إشكاليات استطلعت "العرب" تفاصيلها وسبل علاجها مع عدد من المسرحيين التونسيين.

التونسية رسمياً بمهنة التمثيل كوظيفة بإمكان القائم بها أن يعيش منها وتكون عملاً دائماً.

ومن جهة أخرى، يشدد المي على ضرورة إيلاء قيمة فكرية وفنية وذوقية وجمالية لوجود مهنة الممثل ككاتب كائن وموجود بشكل كامل، ويحظى بالديمومة والاستمرار، للمقاومة وجوده الهش كصاحب مهنة هشة.

ويتابع المي "المشكلة الثانية هي أن النشاط المسرحي المحترف في تونس ما زال يشغل بصفة بدائية وعرضية ظرفية لم تصل إلى مرحلة التواجد الحقيقي من خلال خلق سوق مسرحية وطنية، ذات حركية مستمرة ونشطة، إضافة إلى خلق سوق ثقافة، يقبل خلالها المواطن التونسي على استهلاك المنتج الثقافي الوطني بما في ذلك المسرح التونسي، هذا يعود أصلاً إلى سياسة الدولة وإلى مؤسسات الثقافة والمسرح والمسرحيين على أن يكونوا قوة مقترحة للتطوير والتغيير".

ويلفت المخرج إلى مشكلة أخرى يعاني منها الممثل المسرحي هي قلة تواجده في المشاريع السينمائية والتلفزيونية بنسبة الثلثين، مقابل تغلغل الدخلاء من مجال الاستعراض من الطامحين للشهرة. يقول المسرحي طلال أيوب "إن الممثل في المسرح التونسي يعاني من مشكلة أساسية وجوهية في الاعتراف بمهنته وتنظيمها إلى اليوم، رغم أن المسرح موجود منذ 110 أعوام في تونس والاحتراف والجودة متطوران، لكن يبدو أن ليس هناك نية لاعتراض حقيقي بالممثل المحترف، وبأن التمثيل يمكن أن يكون مهنة، إضافة إلى غياب قانون مهنة الفنون الدرامية".

ويتجلى التهميش في رأي أيوب، خاصة في خطاب السياسيين، ومن أبرزهم رئيس الحكومة الذي يعتبر العمل الفني والثقافي مجرد ترفيه. ويضيف "مع الأزمة الحالية زاد الوضع سوءاً مع وقف كل نشاط ثقافي فعلي منذ مارس 2020، وحتى بعض العروض القليلة التي تم تقديمها في فصل الصيف لم تف بالغرض، فقد مرت 8 أشهر من حالة تشبه الشلل، ما يهدد جدوا الممثلين من ضمان العيش الكريم، رغم أن أغلب الممثلين المحترفين هم أساتذة مسرح أو من الشباب الأقل من 35 سنة إلا أن الوضع حرج".

ويعتبر أيوب أنه عامة معاناة الممثل في تونس مرتبطة بالاعتراف الحقيقي والفعلي، فرغم تحرر المسرح بعد الثورة من "الصنعة" ومقصد الرقيب إلا أنه لم يتحرر من التهميش الذي عرّته اليوم الأزمة الصحية وكشفت المظلمة الثقافية الهشة التي سقطت على رأس ممارستها. ومن أبرز نتائج هذا الظرف هو تغيير العديد من الممثلين لمهنتهم كمسرحيين بصفة طوعية.

من جانبها تقول الممثلة المسرحية أمينة الدشراوي "قبل أن نتحدث عن المشاكل التي يعانيها الممثل المسرحي، لا بد من التساؤل حول ماهية الممثل المسرحي في تونس فقد يبدو لا وجود له ككيان متفرغ للتمثيل على الركب دون القيام بأنشطة أخرى تضمن له العيش الكريم وتحفظ ماء الوجه. من ذلك، فإن المعاناة التي يشهدها الممثل المسرحي تتشكل في عدم قدرته على التفرغ للركب فهو يلجئ إلى التدريس أو التواجد في وسائل الإعلام الرديئة وبالتالي لا يتحقق هدفه الأساسي في تحقيق الفعل النبيل التام ألا وهو المسرح".

وتتابع "خلاصة القول لعل غياب الجمهور ونفوره من المسرح وعدم تنظيم القطاع وانعكاساته الوخيمة على المردود المادي للممثل والرداءة المهولة المحيطة بالمبدان الفني والثقافي هي من أهم المشاكل التي يعانيها الممثل المسرحي".

ويرى الممثل غسان الغضاب أن المشاكل التي يعاني منها الممثل المسرحي

محمد ناصر المولهي  
كاتب تونسي

يعيش القطاع المسرحي التونسي أسوأ أزماته على الإطلاق بعد انتشار جائحة كورونا وما فرضته من إغلاق للمسارح، وتوقف للنشاط يهدد القطاع بشكل جدي.

وقد اختارت "العرب" في حديثها إلى فنانين مسرحيين تونسيين من الأجيال الجديدة أن تسلط الضوء على أهم المشاكل التي يعاني منها المسرح التونسي اليوم، ورؤاهم للحلول الممكنة ومستقبل المسرح التونسي.

## لا وجود للممثل

تري الكاتبة والممثلة المسرحية سهام عقيل أن الممثل في جل القطاعات البصرية الفرجية ليست له هوية ثابتة تتردد وجوده داخل بنية المجتمع، بل هو ينتمي إلى مصاف المجانين أي على هامش المجتمع الإنتاجي المادي.

لا يساهم الممثل، في رأيها، بفننه في دورة الإنتاج الاقتصادي لأن الجهات المنتجة العمومية والخاصة تعتبره وسيلة من وسائل الإنتاج الثانوية ولا تتعدى وظيفته حد الترفيه المجاني، فجدد الممثل دائماً على منصات الفرجة في حضور مناسبات يرتبط أساساً بما تبنيه الشركات الخاصة من مواد استهلاكية، فهو مطية لدعم المنتجات الغذائية والاستهلاكية أساساً.

وتقر بانته لا توجد أنطولوجيا حقيقية لمهنة "الممثل" خارج الإطار الإنتاجي الذي لا يعرف قدرة هذا الفن تاريخياً وحضارياً.

وتضيف "تنساق الأغلبية أي من اختاروا أن يمتهنوا صفة "الممثل" نحو هذا التصور البليد والسهل لتحمي نفسها من الفراغ والفقر وأزمة الاعتراف. فنجد في الجانب الآخر أي ممن يبحثون لأنفسهم عن وجود تاريخي حقيقي عضوي يتصل بقضايا الشعب الحقيقية يعانون التهميش والموت البطيء في أغلب الأحيان والهجرة نحو بلدان أخرى تعترف بالممثل مادياً ومعنوياً".



ومن جانبه يرى المخرج المسرحي عماد المي أن أول مشكلة تخص الممثل المسرحي في تونس هي مشكلة تاصيل مهنة الممثل كمهنة رسمية وحقيقية ضمن المهنة المعترف بها، أي أن تعترف الدولة



## الممثل المسرحي مازال يبحث عن كيانه في تونس

يؤمنوا بالاستمرارية والاختلاف والتنوع وأن هذا لا ينبغي ذلك.

أما غسان الغضاب فيقول "الوضع الحالي يجعل مني أختشى على المسرح والمسرحيين من التلاشي وفقدان الأمل في التواجد داخل دولة تناسست فنانيتها وأغلقت الأبواب أمامهم لتقطع أرزاقهم، ما يجعل أغلب المسرحيين يفكرون في الهجرة أو الابتعاد عن الميدان وهناك منهم من اختار الموت. لا مستقبل للمسرح مع تهميش الدولة له منذ سنين إلا بثورة ثقافية جديدة".

من ناحية يقول طلال أيوب "الحقيقة المسرح في العالم بأكمله في وضع حرج وليس في تونس فقط فالظرف الحالي الغنى التقاء الممثل بالمتفرج، وهذه بادرة فريدة، فالمسرح لم ينقطع نشاطه منذ القرن الخامس قبل الميلاد إلى اليوم، فقد استمر رغم قمع الكنيسة في القرون الوسطى وأقيمت العروض في فرنسا زمن الحرب العالمية، لكن هذه الجائحة هدّدت اليوم استمرار المسرح وجعلت المسرحيين في العالم يفكرون في تجارب جديدة وفي إمكانية اقراض المسرح ففأفروس جديد أو استمرار الكورونا قد يقضي على هذا الفن".

## المسرحيون الجدد في تونس يواجهون مشاكل إغلاق المسارح وعرقلة السابقين وغياب استراتيجيا واضحة من الدولة

لكنه رغم كل ذلك لا ينبغي أن هناك أملاً في عودة المسرح وعودة الحياة إليه، فتونس تتميز بمبدعيها وتطور مسرحها وحماس فنانيتها، الذي سيجعل من المسرح التونسي متطوراً، وذلك عبر الإيمان بالجيل الجديد الخائر الذي يحتاج فقط إلى بعض الاعتبار والتشجيع وملاعمة القرار السياسي لتطعمته.

وتقر سهام عقيل أن مستقبل المسرح التونسي مرتبط بمستقبل المجتمع، وما نشهده اليوم هو مرحلة متوحشة من الممثلين نحو الشائنة وما يقدمونه من خطاب على الركب كذلك. لا يمكن أن نتحدث عن مستقبل للمسرح التونسي بأفضية مسرحية مقفلة وقليلة الجماهير".

واضحة تضمن حقوق الممثلين وتستقطب جمهوراً أكبر وذلك بتحقيق بسياسة ثقافية لا مركزية حقيقية، وبالانفتاح على تجارب عالمية تسابير العصر الحالي بما أن المسرح هو فن "الآن وهنا".

## تركوا الجدد يشتغلون

تري الدشراوي أنه لا بد من تحطيم عديد القوالب الجاهزة وإعادة النظر في قوانين ومؤسّسات المسرح التونسي، فالوضع الحالي لا ينبي بخير وربما هذا البهوء والفراغ الذي يعيشه الممثل التونسي في ظل أزمة الكورونا هو فرصة للاستعداد لثورة ثقافية وفنية شاملة، ثورة على الأفكار البالية وتجار الفن الذين يعتقدون أن المسرح هو مجرد مجال لعقد الصفقات.

قائلة "أنا أشاطر الرأي الذي يقضي بالتحطيم أولاً ثم إعادة البناء حتى يتسنى لنا الحديث عن مستقبل المسرح التونسي".

بدورها تقول نادرة ساسي حول رؤيتها لمستقبل المسرح في تونس "إن المسرح التونسي من بعد جيل المسرح الجديد أخذ في الانحدار وصار لدينا فقط مسرح وافد. لم نرسخ بعد، رغم كل هذا التراكم الذي ندعيه، تقليداً مسرحياً حقيقياً على أرض الواقع، بل بالعكس فالتجريب زاد المسرح عللاً على علله، حيث لا يرتكز أغلبه على دعائم متماسكة ونلاحظ فراغاً هائلاً في العقلية الدرامية: شخوص باهتة، لسان هجين، قصص مبتورة وغامضة.. مثلاً الغرب يجرب في مسرحه بناء على رؤى وفلسفات والتجريب مخبري إلى أن تظهر نتائجه أما نحن فلا نملك بعد ناصية المسرح حتى نجرب فيه بهذه الكفاءة".

ويرى المخرج التونسي عماد المي أن مستقبل المسرح التونسي بيد المسرحيين ومؤسّسات المسرح والدولة وفي إيمان الجميع بالمسرح كضرورة حياتية.

ويضيف "يجب أن يلعب المسرح دوره في مقاومة العنف والتعصب والعلاج النفسي، لأن للمسرح وظيفة علاجية أيضاً. وليكون له مستقبل أوسع وأنجع لا بد لكل مؤسسات الدولة أن تهتم بالمسرح كششاط أساسي وضروري، مثل وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة البيئة والسياحة وحتى الفلاحة والصناعة والتجارة، كل المؤسسات لا بد لها من المشاركة في تأسيس سوق مسرحية متطورة فلا رقي لشعب ما دون مسرح وبدون شعر وفن وثقافة".

ويتابع المي "على المسرحيين الكبار ويخلصوا عن تقزيمه وتحقيره ويؤمنوا أنه جيل مختلف عنهم وبإمكانه أن يشق طريقه خارج وصاياهم وخارج من الممثلين نحو الشائنة وما يقدمونه من خطاب على الركب كذلك. لا يمكن أن نتحدث عن مستقبل للمسرح التونسي بأفضية مسرحية مقفلة وقليلة الجماهير".

الفنان/ الممثل ليواجه دوره الحقيقي في تطور البنى المجتمعية لبلده عوض الهروب إلى الهجرة أو الغياب الكلي أو النسيان. كما توكل الحل إلى القضاء بأن يقضي على أجهزة الفساد البصري التي تستعمل الممثل وترضخه لخطاب تجهيلي دون وعي منه في أغلب الأحيان، لتعيد مؤسسات الدولة في أشكال الإنتاج بعد وضع غايات محددة لها دون السقوط في خدمة الخطابات الأيديولوجية التي ساهمت مباشرة في تفشي الجريمة والعنف داخل المجتمع.

وتتابع "الدور الرئيسي للممثل اليوم هو أن ينتبه ويعيد النظر في مسؤولياته التاريخية أمام الأجيال التي أخذها الهوس واليأس والإحباط نحو التوحش. على الممثل اليوم أن يلجأ إلى المعرفة الحقيقية بما يجب أن يكون دون السقوط في دور 'مهرج الإنتاج السهل' وأن يصبح جسده 'جسد إشهار' رديء، فالممثل تعبيرة جمالية بامتياز وهو فكر متواصل واع ونقدي لما هو كائن، الممثل هو وجود سياسي خلاق يدعم الجمال أينما كان ويضج الظلم أينما حل".

ويقتر عمام المي بأن الحلول تكمن بداية في الاعتراف رسمياً بمهنة التمثيل والممثل كصفة. وتشغيل الممثلين المسرحيين بنسبة الثلثين في الأفلام السينمائية والأعمال الدرامية الإذاعية والمسلسلات التلفزيونية في القطاع الخاص والعام. إضافة إلى فرض شروط على القنوات التلفزيونية الخاصة والعامه لاقتناء عروض مسرحية وبها للمشاهدين. وخلق مناهج وأساليب جديدة لدعم الإنتاج المسرحي بشكل يضمن الحق المادي لكل المشاركين بما في ذلك الممثل.

ويضيف المي "لا بد من خلق سوق داخلية لتدوير العروض بشكل شهري، ومن الضروري أيضاً تنشيط الدبلوماسية الثقافية لتخلق سوق خارجية لترويج العروض المسرحية، علاوة على تشجيع القطاع الخاص وربح الأعمال على إنتاج العروض المسرحية".

ويقترح طلال أيوب تعديل ميزانية وزارة الثقافة ورد الاعتبار لأهمية الفن والثقافة في نشر الوعي وإعادة بناء مجتمع وروح جديدة، فالجمعيات لا ترتقي بالآكل والنوم والصناعة بل بثقافتها وفكرها. ومن بين الحلول كذلك التسريع في إتمام قانون المهنة الفنية وتنظيم القطاع الثقافي وإشراك أهل القطاع كمؤسسين في هذه القوانين. وتعتقد أمينة الدشراوي أن كثرة الهياكل المهتمة بالشأن المسرحي مثل الشركات الخاصة ومراكز الفنون الدرامية والركحية باتت تشكل عائقاً أمام تطور الفعل المسرحي إذ تعود جميعها بالنظر إلى وزارة الشؤون الثقافية وتنتظر جميعها رؤية "هلال الدعم"، لذلك فنحن في أمس الحاجة إلى مصادر تمويل أخرى داخلية كانت أو خارجية مع إعادة هيكلة القطاع ووضع استراتيجيات

في تونس عديده، انطلاقاً من العقود التي لا تضمن له حقوقه كطرف ثان، وهي تصب في صالح الطرف الأول (الهيكال المنتج)، إضافة إلى مخاطر التثقل عند العروض التي تكون في ظروف كارثية أحياناً. أما الممثلة نادرة ساسي فتقول "هناك أزمة مسرحيين وليست أزمة مسرح أزمه في العلاقات بين المسرحيين أنفسهم، هناك أزمة في التلقي ومحاولة دائمة للإقصاء، أي هناك أزمة الرأي الواحد والمسرح فعل جمعي ودعوة جماعية لا يحتمل العقلية الإقصائية السائدة، إضافة إلى سيطرة الشركات على القطاع ومتاجرتها بعرق الممثلين وعدم إيفائهم أجورهم الزميدة".

## وجود سياسي خلاق

الحلول للمشاكل المطروحة وفق رأي الغضاب هو ضمان حقوق الممثل بحمايته من التحليل في صورة عدم خلاص مستحقته المادية بوضع قوانين خاصة بهذه المهنة، وفرض أجر أدنى يضمن له حياة كريمة. علاوة على تفعيل قانون يجبر المنتجين على التعامل مع حاملي بطاقة الاحتراف.

كما يدعو إلى فتح تحقيق في الفساد المالي والإداري داخل وزارة الثقافة حول الأشخاص المستفيدين من الأموال الموجهة إلى الأعمال الإذاعية، بطرق غير قانونية، وضرورة تنبذ شركات الإنتاج التي تصرفها في الأموال المقدمة لها من قبل الوزارة كدعم للأعمال المسرحية. إضافة إلى تفعيل سياسة ثقافية في البلاد واعتماد وزارة الثقافة كوزارة سيادة.

أما سهام عقيل فترى بأنه ليست هناك حلول خارج مؤسسات الدولة، وأهمها التعليم أساساً كرهان حقيقي أولي يرتقي بالذهنية الجمالية والفنانات المسرحية التي تنتمي إلى مؤسسات الدولة. لكن من خلال هذا الاعتبار لا يوجد يقين ثابت بتطور رؤية الدولة للمسرح وفنون الفرجة، كما لا تقدر مؤسسات الدولة اليوم على تحمّل خطاب جمالي تنويري يحمله الممثل التونسي اليوم في شتى الأشكال الفنية، لأنها ستدرعه أولاً ثم تعيد خلق طرق جديدة لتفكيره وتحقيره. وتضيف "يبقى الحل الوحيد مرتينها باصحاب الشأن الفني، لكن ما نلاحظه بشدة اليوم أن هناك نتائج محبطة للمسار السياسي على الفنانين، من فراغ معرفي وجهل مدقع برهانات الفن الحقيقية، الفن الذي يساهم عضويًا في تطور البشر من رتبة الوحشية إلى رتبة الجمال. الكل يساهم اليوم عن طريق الركب أو الشائنة في تعميق الهوة الكبيرة بين الفن والمتقبل وتطبيع تام مع الرديء لأنه سهل ويغمر نقوداً".

وتؤكد عقيل على أنه على الجامعة التونسية وكل المختصين في الشأن الفكري أن يعيدوا النظر في هوية